المائة الأولى من الهجرة

١ - عمرو بن العاص، أبو عَبْد الله[١].

قرأت بخط أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب "أنساب الأشراف" من تأليفه: قال مُحَمَّد بن سعد: قال الواقدي: من خير عمرو ابن العاصي إنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما في صفر سنة ثمان - قبل فتح مكة بأشهر؛ وكان الفتح في شهر رمضان - فوجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل في سرية[٢]، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عن جميعهم. قال: ثم بعث به إلى ابني الجلندي بعمان فأسلما، وكان أميراً عليها. فلم يزل عمرو بعمان حتى قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

قال: وعمرو بن العاصي هو الذي فتح مصر ونواحيها في خلافة عمر وعزله عثمان عنها.

وقال غير البلاذري: ثم صار من مصر حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية، على أن يبيعوا من أبنائهم في جزيتهم ما أحبوا بيعه وعلى يديه تم فتح المسلمين لبرقة. ثم غزا في سنة ثلاث وعشرين إطرابلس، فحاصرها شهراً لا يقدر منها على شيء، ثم أفتتحها في قصة غريبة ذكرها أبو القاسم عَبْد الرَّحْمَن بن عَبْد الله بن عَبْد الحكم في تاريخه، وغنم ما فيها ولم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم. وأراد أن يوجه إلى المغرب

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٨٤، والإصابة ٤/ ٦٥٠، والطبقات الكبرى ٤/ ٢٥٤، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٧٨، وقال المزي: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي أبو عَبْد الله، وقيل: أبو مُحَمَّد السهمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والد عَبْد الله بن عمرو بن العاص، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما سنة ثمان قبل الفتح بأشهر مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، وقيل: أسلم بين الحديبية وخيبر، وأمه النابغة بنت حريملة، وقيل: بنت خزيمة، وقيل: سلمى بنت النابغة سبية من عنزة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٧).

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ٢٨٦.

فكتب إلى عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل فتح علينا إطرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل، فكتب إليه عمر ينهاه عن ذلك.

الظاهر من هذا الخبر تحيز إطرابلس من إفريقية، ولم تزل من أعمالها قديماً وحديثاً. قال ابن عَبْد الحكم: كان سلطان جرجير من إطرابلس إلى طنجة. وبهذا الاعتبار ساغ لي ذكر عمرو رضي الله عنه في هذا الكتاب.

ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد - أخا خالد بن الوليد - عند النجاشي، وكانت قريش بعثتها إليه يكلمانه في من قدم عليه من المهاجرين رضي الله عنهم:

تعلم عمار أن من شر شبهة ... لمثلك أن يدعى ابن عم له أنتمى

لئن كنت ذا بردين أحوى مرجلاً ... فلست براء لابن عمك محرما

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم ينه قلباً هائماً حيث يمما

قضى وطراً منه، وغادر سبة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال أيضاً في حروب صفين:

شببت الحرب فأعددت لها ... مفرغ الحارك محبوك السبج

يصل الشد بشد فإذا ... ونت الخيل من الشد معج

جرشع أعظمه جفرته ... فإذا ابتل من الماء حدج

وقال يخاطب مُعَاوِيَة بن أبي سفيان رضي الله عنه:

معاوي إني بعت ديني ولم أنل ... به منك دنيا، فأنظرن كيف تصنع

وما الدين والدنيا سواء وإنني ... لآخذ ما تعطى ورأسي مقنع

فإن تعطني مصراً فأربح بصفقة ... أخذت بها شيخاً يضر وينفع

قال عمرو هذا لأنه شرط على مُعَاوِيَة لما تحيز إليه - وكان معه في حروبه لعلي رضي الله عنهم - أن يوليه إذا ظهر مصر طعمة؛ فوفى له بذلك.

وروى أن عتبة بن أبي سفيان دخل على مُعَاوِيَة أخيه وهو يكلم عمراً في مصر، وعمرو يقول له: إنما بعتك بها ديني، فقال له عتبة: أثمن الرجل بدينه؛ فإنه صاحب من أصحاب مُحَمَّد.

فأقام على مصر إلى أن توفي في خلافة مُعَاوِيَة. ومما يعزى إليه:

وأغضي على أشياء لو شئت قلتها ... ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا

فإن كان عودي من نضار فإنني ... لأكره يوماً أن أحطم خروعا

وأنشد له ابن إسحاق صاحب المغازي في يوم أحد ما لم أر وجهاً لذكره.

٢- ابنه عَبْد الله بن عمرو بن العاص، أبو مُحَمَّد[1].

ذكره أبو بكر عَبْد الله بن مُحَمَّد المالكي في الداخلين إفريقية من الصحابة رضي الله عنهم، وهم قريب من ثلاثين رجلا. وكان يخلف أباه على إمارة مصر، إذ وليها عمرو في خلافة عمر بن الخطاب وفي خلافة مُعَاوِيَة. وهو صلى على أبيه عند وفاته، ثم صلى بالناس يوم الفطر. ولم يكن بينه وبين أبيه في السن إلا اثنتا عشرة سنة، وأسلم قبله، وكان أحد فقهاء الصحابة وفضلائهم، والمكثرين من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو مُحَمَّد بن حزم الفقيه: روى عَبْد الله بن عمرو بن العاصي سبعمائة حديث.

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٩٥٦، والإصابة ٤/ ١٩٢، والطبقات الكبرى ٤/ ٢٦١، وتهذيب الكمال ١٥/ ٣٥٧، وقال المزي: عَبْد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي أبو مُحَمَّد، وقيل: أبو عَبْد الرَّحْمَن، وقيل: أبو نصير السهمي، وأمه رائطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة، ويقال: حذافة بن سعد بن سهم، ولم يكن بينه وبين أبيه في السن سوى إحدى عشرة سنة، واسلم قبل أبيه، وقال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: " نعم أهل البيت عَبْد الله وأبو عَبْد الله وأم عَبْد الله". وقيل: كان اسمه العاص فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عَبْد الله، وكان غزير العلم مجتهدا في العبادة، قال أبو هريرة: (ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عَبْد الله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب وكنت لا اكتب). وقال شفي بن ماتع عن عَبْد الله بن عمرو: (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل).

وفي تاريخ ابن عَبْد الحكم: أن عثمان رضي الله عنه كتب إلى عَبْد الله بن سعد بن أبي سرح يؤمره على مصر سنة خمس وعشرين فجاءه الكتاب بالفيوم بقرية منها تدعى دموشة، فجعل لأهل الجواب جعلا على أن يصبحوا به الفسطاط في موكبه. فقدموا به الفسطاط قبل أن يصبح الصبح، فأشار إلي المؤذن فأقام الصلاة حين طلع الفجر، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ينتظر المؤذن يدعوه إلى الصلاة، لأنه كان خليفة أبيه، فاستنكر الإقامة، فقيل له: صلى عَبْد الله بن سعد بالناس.

قال ابن عَبْد الحكم: يزعمون أن عَبْد الله بن سعد أقبل من غربي المسجد بين يديه شمعة، وأقبل عَبْد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة. فالتفت عند القبلة فأقبل عَبْد الله بن عمرو حتى وقف على عَبْد الله بن سعد فقال: هذا بغيك ودسك! فقال عَبْد الله بن سعد: ما فعلت. وقد كنت أنت وأبوك تحسداني على الصعيد، فتعال حتى أوليك الصعيد، وأولي أباك أسفل الأرض، ولا أحسدكما عليه.

وكان عزل عمرو بن العاصي عن مصر وتولية عَبْد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين، صدر خلافة عثمان رضي الله عنه. ومن شعر عَبْد الله بن عمرو في صفين:

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدي ... بصفين يوماً شاب منه الذوائب
عشية جا أهل العراق كأنهم ... سحاب ربيع دفعته الجنائب
وجئناهم نردى كأن صفوفنا ... من البحر مد موجه متراكب
إذا قلت: قد ولوا سراعاً، بدت لنا ... كتائب منهم فأرجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم ... سراة النهار ما تولى المناكب
وقالوا لنا: إنا نرى أن تبايعوا ... علياً، فقلنا: بل نرى أن تضاربوا

هكذا وجدت هذا الشعر منسوباً إليه، وخلاف هذه الحال كان. على أن أبا الفتوح الطائي البغدادي قد حكى في كتابه الأربعين حديثاً من جمعه: أن عَبْد الله بن عمرو شهد مع أبيه صفين، وكان يضرب بسيفين. والأصح هو الذي رواه أبو عمر ابن عَبْد البر في خب يسنده إلى

ابن أبي مليكة: أن عَبْد الله بن عمرو بن العاصي كان يقول: مالي ولصفين؟ مالي ولقتال المسلمين؟ والله لوددت أني مت قبل هذا بعشر سنين. ثم يقول: أما والله ما ضربت فيها بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم، ولوددت أني لم أحضر شيئاً منها. وأستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب إليه. قال أبو عمر: إلا أنه ذكر أنه كانت بيده الراية يومئذ، فندم ندامة شديدة على قتاله مع مُعَاوِيَة. قال: وأقسم أنه إنما شهدها لعزمة أبيه عليه في ذلك، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: أطع أباك. ذكر أبو عمر هذا في كتاب الاستيعاب في الصحابة من تأليفه، ولكن الشعر - مع هذا - مذكور له في مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة وغيره.

٣- عَبْد الله بن عباس، أبو العباس[1].

---

(١) الاستيعاب ١/ ٢٨٣، وأسد الغابة ٢/ ١٣٠، والإصابة ٤/ ١٤١، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٥٤، وقال ابن عَبْد البر: هو عَبْد الله بن العباس بن عَبْد المطلب بن هاشم بن عَبْد مناف بن قصي القرشي الهاشمي. يكنى أبا العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم هذا قول الواقدي والزبير. قال الزبير وغيره من أهل العلم بالسير والخبر: ولد عَبْد الله بن العباس في الشعب قبل خروج بني هاشم منه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. وروينا من وجوه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم وانا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم يعني المفصل. هذه رواية أبي بشر عن سعيد بن جبير. وقد روى عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنا ختين أو قال مختون. ولا يصح والله أعلم.

وقد حدثنا عَبْد الله حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن ابن إسحاق قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنا ابن خمس عشرة سنة. قال عَبْد الله بن أحمد بن حنبل قال أبي: وهذا هو الصواب. وقال الزبيري: يروى عن عبيد الله بن عَبْد الله عن ابن عباس أنه قال في حجة الوداع: وكنت يومئذ قد ناهزت الحلم

قال أبو عمر: وما قاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي أصح والله أعلم وهو قولهم إن ابن عباس كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم.

ومات عَبْد الله بن عباس بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى الطائف ومات بها وهو ابن سبعين سنة وقيل ابن إحدى وسبعين سنة. وقيل: ابن أربع وسبعين سنة وصلى عليه مُحَمَّد ابن الحنفية وكبر عليه أربعا وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة وضرب على قبره فسطاطا.

غزا إفريقية مع عَبْد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان سنة سبع وعشرين وشهد فتحها؛ ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس في تاريخه. ثم ولي إمارة البصرة في خلافة علي رضي الله عنه حين استعمل أخويه عبيد الله على اليمن ومعبداً على مكة. وكان لعبد الله بن العباس من عمر بن الخطاب مكان. وقال لعبد الرَّحْمَن بن عوف، وقد كلمه في حظوته لديه: إنه من حيث علمت. وكان يقول: (ابن عباس فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول)؛ ويقول إذا سأل ابن عباس في الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف تلومونني عليه بعد ما ترون؟).

وفي كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني أن عيينة بن مرداس ابن فسوة الشاعر، وهو المعروف بأبي فسوة، أتى عَبْد الله بن العباس - وهو عامل لعلي بن أبي طالب على البصرة، وتحته يومئذ شميلة بنت جنادة بن أبي أزيهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي - فاستأذن عليه فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه. فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بك إلي يا ابن فسوة؟ فقال له: وهل دونك مقصداً أو وراءك معدى؟ جئتك لتعينني على مروءتي وتصل قرابتي، فقال له ابن عباس: وما مروءة من يعصي الرَّحْمَن ويقول البهتان ويقطع ما أمر الله به أن يوصل؟ والله لئن أعطيتك لأعيننك على الكفر والعصيان، انطلق، فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك، فأراد الكلام فمنعه من حضر، وحبسه يومه ذلك. ثم أخرجه عن البصرة، فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي عليه السلام، فلقي الحسن بن علي عليه السلام وعبد الله بن جَعْفَر عليهما السلام فسألاه عن خبره مع ابن عباس فأخبرهما، فاشتريا عرضه بما أرضاه، فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس من أبيات:

لقيت ابن عباس فلم يقض حاجتي ... ولم يرج معروفي ولم يخش منكري

فلو كنت من زهران لم ينس حاجتي ... ولكنني مولى جميل بن معمر

فليت قلوصي أغربت أو رحلتها ... إلى حسن في داره وابن جَعْفَر

إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى ... وللدين يدعو والكتاب المطهر

إلى معشر لا يخصفون نعالهم ... ولا يلبسون السبت ما لم يخصر
فلما عرفت اليأس منه وقد بدت ... أيادي سبا الحاجات للمتذكر
تسنمت حرجوجاً كأن بغامها ... أجيج ابن ماء في يراع مفجر
فما زلت في التسيار حتى أنختها ... إلى ابن رسول الله المتخير
فلا تدعني إذ رحلت إليكم ... بني هاشم أن تصدروني بمصدر

قال أبو الفرج: كان عيينة هذا شاعراً خبيث اللسان مخوف المعرة في جاهليته وإسلامه، وكان يقدم على أمراء العراق وأشراف الناس فيصيب منهم بشعره. قال: وكان حليفاً لجميل بن معمر القرشي. ومن شعر عَبْد الله بن العباس، وكان أبوه العباس أيضاً شاعراً:

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى ... وأعمل فكر الليل، والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها ... سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه من مقامه ... وزايله هم طروق مسامز
وكان له فضل علي بظنه ... بي الخير، إني الذي ظن شاكر

وقال أيضاً وقد عمى في آخر عمره، وروى عنه من وجوه: قاله أبو عمر ابن عَبْد البر وغيره:

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وهذا من أحسن ما قيل في هذا المعنى، وهو داخل في باب تحسين ما يقبح وقد جمعت قطعة من ذلك في تأليفي للخزانة العالية الإمامية، الموسوم بـ "قطع الرياض في بدع الأغراض". ومن ذلك قول بشار بن برد:

عميت جنيناً، والذكاء من العمى ... فجئت مصيب الظن للعلم موئلا
وغاض صفاء العين للعقل رافداً ... بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لامست نظمه ... بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقال آخر، ويروى لأبي العلاء، والصحيح أنه لأبي الحسن الحصري:

وقالوا: قد عميت، فقلت: كلا ... وإني اليوم أبصر من بصير

سواد العين زار سواد قلبي ... ليجتمعا على فهم الأمور

وقال عَبْد الله بن سليمان القرطبي النحوي - المعروف بدرود، ويقال: دريود - وكان أعمى:

تقول: من للعمى بالحسن؟ قلت لها: ... كفى عن الله في تصديقه الخبر

القلب يدرك ما لا عين تدركه ... والحسن ما استحسنته النفس لا البصر

وما العيون التي تعمى إذا نظرت ... بل القلوب التي يعمى بها النظر

ومن جيد العذر - لولا شوبه بالهجر - قول الآخر:

قالوا: العمى منظر قبيح ... قلت: بفقدي لهم يهون

تالله ما في الأنام شيء ... تأسى على فقده العيون

كأنه أخذه من قول سعيد بن المسيب وقد نزل الماء في عينيه، فقيل له: لو قدحتهما، فقال: وعلى من أفتحهما؟ ومثل هذا قول المعري، وهو عندي من المنشد:

أبا العلاء بن سليمانا ... إن العمى أولاك إحساناً

لو أبصرت عيناك هذا الورى ... لم ير إنسانك إنساناً

٤ - عَبْد الله بن الزُّبَيْر، أبو بكر وأبو خبيب[1].

---

(١) الإصابة ٤/ ٨٩، وتهذيب الكمال ٩/ ٢٩٤، وأسد الغابة ٢/ ١٠٩، وقال ابن الأثير: هو عَبْد الله بن الزبير بن عَبْد المطلب بن هاشم بن عَبْد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأمه عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. لا عقب له، وهو أخو ضباعة بنت الزبير، وكان الزبير أخا عَبْد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخا أبي طالب لأبيهما وأمهما.

وشهد عَبْد الله قتال الروم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقتل يوم أجنادين شهيداً، ووجد حوله عصبة من الروم قتلهم، ثم أثخنته الجراح فمات.

قال الواقدي: أول قتيل قتل من الروم يوم أجنادين البطريق، الذي قتله عَبْد الله بن الزبير بن عَبْد المطلب. برز بطريق معلم، فبرز إليه عَبْد الله بن الزبير، فقتله عَبْد الله ولم يتعرض لسلبه. ثم برز إليه آخر فبرز إليه عَبْد

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح في خلافة عثمان. وهو الذي ولي قتل جرجير ملكها واحتز رأسه وجعله في رمحه، وكبر فانهزم الروم في خبر طويل ذكره مصعب بن الزُّبَيْر في كتاب قريش من تأليفه، فوجه به ابن أبي سرح بشيراً إلى عثمان، فقدم عليه، فأخبره بفتح الله ونصره، وخطب يومئذ بذلك في مسجد المدينة على المنبر. قال مصعب: وبشر عَبْد الله مقدمه من إفريقية بابنه خبيب بن عَبْد الله، وهو أكبر ولده.

وقال ابن عَبْد الحكم: بعث عَبْد الله بن سعد بالفتح عقبة بن نافع، ويقال: بل عَبْد الله بن الزُّبَيْر، وذلك أصح - فيقال إنه سار على راحلته إلى المدينة من إفريقية في عشرين ليلة. قال: وقد قيل: إن عَبْد الله بن سعد كان قد وجه مَرْوَان بن الحكم إلى عثمان من إفريقية، فلا أدري أفي الفتح أم بعده؛ والله أعلم.

ثم ولي ابن الزُّبَيْر الخلافة بالحجاز والعراق وأكثر الشام، بعد موت مُعَاوِيَة ابن يزيد بن مُعَاوِيَة. وكان قد خرج من المدينة مع الحسين بن علي - إثر موت مُعَاوِيَة بن أبي سفيان، ممتنعا من بيعة ابنه يزيد - وأقام يسلم عليه بالخلافة تسع سنين، ثم قتله عَبْد الملك بن مَرْوَان على يد الحجاج سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

وحكى الزُّبَيْر بن بكار في كتاب "نسب قريش" له، عن هِشَام بن عروة، قال: كان أول ما فصح به عمي عَبْد الله بن الزُّبَيْر - وهو صبي - السيف، وكان لا يضعه من فمه. فكان الزُّبَيْر بن العوام إذا سمع ذلك منه يقول: أما والله ليكونن له منه يوم ويوم وأيام.

=

الله بن الزبير أيضاً فاقتتلا بالرمحين، ثم صارا إلى السيفي، فحمل عليه عَبْد الله بن الزبير فضربه وهو دارعٌ على عاتقه، وقال: خذها وأنا ابن عَبْد المطلب فقطع بسيفه الدرع وأسرع في منكبه، ثم ولّى الرومي منهزماً. فعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز، فقال عَبْد الله: إني والله ما أجدني أصبر فلما اختلطت السيوف وأخذ بعضها من بعض، وُجد في ربضة وحوله عشرة من الروم قتلى، وهو مقتول بينهم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ابن عمي وحبي ". وقيل: إنه كان يقول: " ابن أمي ".

لا تحفظ له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم. وكان عمره يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين سنة.

ومن شعره المشهور عنه:

وكم من عدو قد أراد مساءتي ... بغيب، ولو لاقيته لتندما

كشير الخنا، حتى إذا ما لقيته ... أصر على إثم وإن كان أقسما

وقال أيضاً، أنشده له أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب "العمدة" من تأليفه؛ قال غيره:

ويروى لعبد الله بن الزُّبَيْر بفتح الزاي وكسر الباء:

لا أحسب الشر جاراً لا يفارقني ... ولا أحز على ما فاتني الودجا

وما لقيت من المكروه منزلة ... إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا

ويروى أن مُعَاوِيَة بن أبي سفيان كتب إليه:

رأيت كرام الناس إن كف عنهم ... بحلم، رأوا فضلاً لمن قد تحلما

ولا سيما إن كان عفواً بقدرة ... فذلك أحرى أن يجل ويعظما

ولست بذي لؤم فتعذر بالذي ... أتيت من الأخلاق ما كان ألأما

وإني لأخشى أن أنالك بالتي ... كرهت، فيخزى الله من كان أظلما

فراجعه ابن الزُّبَيْر:

ألا سمع الله الذي أنا عبده ... وأخزى إله الناس من كان أظلما

وأجرا على الله العظيم بجرمه ... وأسرعه في الموبقات تقحما

أغرك أن قالوا حليم بقدرة ... وليس بذي حلم ولكن تحلما

وأقسم لولا بيعة لك لم أكن ... لأنقضها، لم تنج مني مسلما

ومما رويته من طريق ابن أبي الحسن بن صخر في فوائده، وقرأته على الحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الْكَلَاعِيّ بإسناده إلى عَبْد الله بن المبارك، قال: حدثني يونس عن الزُّهْرِيّ، قال: اجتمع مَرْوَان وابن الزُّبَيْر عند عائشة رضي الله عنها، قال: فذكر مَرْوَان بيتاً من شعر لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يعود رماداً بعد إذ هو ساطع

فتعجب منه. قال ابن الزُّبَيْر: وما تعجبك؟ لو شئت قلت ما هو أفضل منه:

ففوض إلى الله الأمـور إذا اعترت ... فبالله لا بالأقربين تدافـع

قال مروان:

وداو ضمير القلب بالبر والتقى ... ولا يستوى قلبان: قاس وخاشع

وقال ابن الزُّبَيْر:

ولا يستوى عبدان: عَبْد مصلم ... عتل لأرحام الأقارب قاطع

قال مروان:

وعبد تجافى جنبه عن فراشه ... يبيت يناجي ربه وهو راكع

قال ابن الزُّبَيْر:

وللخير أهل يعرفون بهديهم ... ذا جمعتهم في الخطوب المجامع

قال مروان:

للشر أهل يعرفون بشكلهم ... تشير إليهم بالفجور الأصابع

فسكت ابن الزُّبَيْر، فقالت له عائشة: ما سمعت مجادلة قط أحسن من هذه، ولكن لمروان إربت في الشعر ليس لك.

٥- مَرْوَان بن الحكم، أبو عَبْد الملك[1].

---

(١) تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٨٧، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٨٢، وتقريب التهذيب ١/ ٢٥٢، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٦٨، وقال البخاري: مَرْوَان بن الحكم بن أبي العاص أبو عَبْد الملك الأموي القرشي يعد في أهل المدينة سمع عثمان بن عفان ويسرة روى عنه عروة بن الزبير نا مُحَمَّد قال نا مُحَمَّد نا مُحَمَّد بن سعيد قال نا علي بن مسهر عن هِشَام بن عروة عن أبيه قال أخبرني مَرْوَان بن الحكم قال فلا أخاله يتهم علينا قال أصاب عثمان بن عفان رعاف شديد حتى حبسه عن الحج فأوصى سنة الرعاف فدخل عليه رجل من قريش فقال له استخلف قال وقالوه قال نعم قال ومن فسكت ثم دخل عليه رجل آخر قال أحسبه بن الحكم فقال استخلف قال قالوه قال نعم قال ومن قال فسكت قال لعلهم قالوا الزبير بن العوام قال نعم قال والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت وإن كان لأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات.

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح، ووجهه إلى عثمان رضي الله عنه، على ما ذكره ابن عَبْد الحكم حسبما تقدم. وكان ابن أبي سرح قد كتب إلى عثمان يستأذنه في غزو إفريقية، فندب عثمان الناس بعد المشورة في ذلك. فلما اجتمعوا أمر عليهم الحارث بن الحكم أخا مروان، إلى أن يقدموا على عَبْد الله بن سعد بن أبي سرح بمصر فيكون الأمر إليه.

ومن شعر مروان:

اعمل وأنت من الدنيا على خذر ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث

واعلم بأنك ما قدمت من عمل ... محصي عليك، وما خلفت موروث

وقد أوردت ما دتار بينه وبين عَبْد الله بن الزُّبَيْر قبل هذا؛ وهو القائل أيضاً بين يدي خلافته عند موت مُعَاوِيَة بن يزيد بن مُعَاوِيَة واضطراب الأمور بالشام:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها ... الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وذكر له الزُّبَيْر بن بكار وغيره رجزاً في قتل الحسين بن علي حين قدم برأسه على المدينة، تركت ذكره؛ وكان أخوه عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم من فحول الشعراء.

٦ - ابنة عَبْد الملك بن مروان، أبو الوليد[1].

غزا إفريقية مع مُعَاوِيَة بن حُدَيْج سنة أربع وثلاثين في آخر خلافة عثمان، وبعثه مُعَاوِيَة هذا إلى مدينة يقال لها جلولا في ألف رجل. فحاصرها عَبْد الملك أياماً فلم يصنع شيئاً،

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٧٣، وتقريب التهذيب ١/ ٣٦٥، ولسان الميزان ٧/ ٣٧٢، والتاريخ الكبير ٥/ ٤٢٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٨، وقال الخطيب عنه: عَبْد الملك بن مَرْوَان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عَبْد شمس بن عَبْد مناف أبو الوليد بويع له بالخلافة عند موت أبيه وهو بالشام ثم سار إلى العراق فالتقى هو ومصعب بن الزبير بمسكن على نهر دجيل قريبا من أوانا عند دير الجاثليق فكانت الرحب بينهما حتى قتل مصعب وقتل الحجاج بن يوسف بعده أخاه عَبْد الله بن الزبير بمكة واجتمع الناس على عَبْد الملك وكان منزله بدمشق كتب إلى عَبْد الرَّحْمَن بن عثمان الدمشقي يذكر أن أبا الميمون البجلي أخبرهم قال أخبرنا أبو زرعة عَبْد الرَّحْمَن بن عمرو النصري حدثني عَبْد الرَّحْمَن بن إبراهيم عن عَبْد الرَّحْمَن بن بشير عن مُحَمَّد بن إسحاق قال ولد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مَرْوَان سنة ست وعشرين.

فانصرف راجعاً. فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقة الناس غباراً شديداً، فظن أن العدو قد طلبهم، فكر بجماعة من الناس لذلك، وبقي من بقي على مصافهم، وتسرع سرعان الناس، فإذا مدينة جلولا قد وقع حائطها، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها، وانصرف عَبْد الملك إلى مُعَاوِيَة بن حُدَيْج[1].

---

(١) قال الصفدي في الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٠: بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير. وبقي على مصر والشام، وابن الزبير على باقي البلاد مدة سبع سنين. ثم غلب عَبْد الملك على العراق وما والاها حتى قتل ابن الزبير واستوثق الأمر لعبد الملك. كان عابداً ناسكاً بالمدينة، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين، وحفظ أمرهم.

قال ابن سعد: واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة. قال الشيخ شمس الدين: وهذا لا يتابع عليه. وسمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة، وبريرة مولاة عائشة، وابن عمر، ومعاوية. قال مصعب ابن عَبْد الله: أول من سمي عَبْد الملك في الإسلام عَبْد الملك بن مروان. وأمه عائشة بنت معاوية ابن أبي العاص.

وقال أبو الزناد: فقهاء المدينة سعدي ابن المسيب، وعبد الملك، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب. وعن ابن عمر، قال: ولد الناس أبناء، وولد مَرْوَان أباً. وقال مالك؛ سمعت يحيى بن سعيد يقول: أول من صلى في المسجد ما بين الظهر والعصر عَبْد الملك.

وقال ابن عائشة: أفضى الأمر إلى عَبْد الملك، والمصحف في حجره، فأطبقه وقال: هذا فراق بيني وبينك؛ وكان له سبع عشر ولداً، ومات في شوال سنة ست وثمانين للهجرة. وفي تاريخ القضاعي: لقبه رشح الحجر لبخله؛ وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص بن أمية بن عَبْد شمس؛ وكان ربعة إلى الطول أقرب، أبيض ليس بالبادن ولا النحيف، مقرون الحاجبين، كبير العينين، مشرف الأنف، كثير الشعر، متفلج الفم، مشبك الأسنان بالذهب، أبخر، كان يلقب أبا الذبان، يزعمون أن الذبابة إذا مرت بفيه ماتت لشدة بخره.

ولد يوم جلس عثمان للخلافة، وكان ملكه مه ستي ابن الزبير إحدى وعشرين سنة وستة أشهر، وخلص له ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر. ولما مات صلى عليه ابنه الوليد. كان كاتبه قبيصة بن ذؤيب، وسرجون بن منصور، وعلى رسائله أبو الزعيزعة. وفي أيامه حولت الدواوين إلى العربية. وفي تاريخ القضاعي: وكتب له روح بن زنباع. وكان حاجبه أبو يوسف مولاه، ثم أبو درة، ونقش خاتمه: آمنت بالله مخلصاً. وفي أيامه نقشت

ولعبد الملك في تمنيه الخلافة وإجابة دعائه بذلك خبر غريب يدخل في باب الأماني، الصادقة، وقد رويته عن الحافظ أبي الربيع بن سالم بقراءتي عليه من طريق أبي علي بن سكرة الصدفي بإسناده إلى الشعبي، قال: لقد رأيت عجباً: كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزُّبَيْر ومصعب بن الزُّبَيْر وعبد الملك بن مروان. فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني ويسأل الله حاجته، فإنه يعطى من سعة؛ قم يا عَبْد الله ابن الزُّبَيْر فإنك أول مولود ولد في الهجرة. فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ألا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة؛ وجاء حتى جلس. فقالوا: قم يا مصعب بن الزُّبَيْر، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين؛ وجاء حتى جلس. وقالوا: قم يا عَبْد الملك بن مروان، فقام وأخذ بالركن اليماني فقال: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وبحق الطائفين حول بيتك، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني مشرق الأرض ومغربها، ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء حتى جلس. ثم قالوا: قم يا عَبْد الله بن عمر، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك رحمن رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ألا تميتني من الدنيا -حتى توجب لي الجنة. قال

=

الدنانير والدراهم بالعربية سنة ست وسبعين. وكان على الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية، وعلى الدراهم كتابة بالفارسية، وكانت المثاقيل في الجاهلية اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة بالشامي.

كتب إلى الحجاج مرة رسالة منها: قد بلغني عنك إسراف في القتل، وتبذير في المال، وهاتان خلتان لا احتمل عليهما أحداً، وقد حكمت عليك في العمد بالقود وفي الخطأ بالدية، وفي الأموال تردها إلى مواضعها، وسيان منع حق أو إعطاء باطل، لا يؤنسنك إلا الطاعة، ولا يوحشنك إلا المعصية.

الشعبي: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أُعطي ما سأل، وبشر عَبْد الله بالجنة، ورؤيت له.

ومن شعر عَبْد الملك، وقد هم بقتل بعض أهله ثم صفح عنه:

نمت بنفسي همة لو فعلتها ... لكان كثيراً بعدها ما ألومها

ولكنني من أسرة عبشمية ... إذا هي همت أدركتها حلومها

ويروى أنه لما بلغه إسراف الحجاج بن يوسف في القتل، وتبذيره الأموال بعد ظهوره على عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الأشعث، كتب إليه ينهاه ويتوعده، وكتب في أسفل كتابه:

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها ... وتطلب رضاي بالذي أنت طالبه

وتخش الذي لم يخش مثلك لم تكن ... كذي الدرر الدر في الضرع حالبه

فإن تر مني وثبة أموية فهذا ... وهذا كل ذا أنا صاحبه

وإن تر مني غفلة قرشية ... فيا ربما قد غص بالماء شاربه

فلا تأمنني والحوادث جمة ... فإنك مجزىء بما أنت كاسبه

وإني لأغضي جفن عيني على القذى ... وأزور بالأمر الذي أنا راكبه

وأملي لذي الذنب العظيم كأنني ... أخو غفلة عنه وقد جب غاربه

فإن آب لم أعجل عليه، وإن أبى ... وثبت عليه وثبة لا أراقبه

فجاوبه الحجاج برسالة وكتب معها:

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقي ... أذاك، فيومي لا توارى كواكبه

وما لأمرىء يعصي الخليفة جنة ... تقيه من الأمر الذي هو راكبه

أسالم من سالمت من ذي مودة ... ومن لم تساله فإني محاربه

إذا قارف الحجاج فيك خطيئة ... فقامت عليه بالصياح نواديه

وإن أنا لم أدن النصيح لنصحه ... وأقص الذي دبت على عقاربه

وأعـــط المـــواسي [.....][1] تـرد الـذي ضـاقت عـلى مذاهبـه

فمن يتقي بـوسي ويرعـي مـودتي ويخشى الردى والدهر جم عجائبه

فأمري إليك اليوم: مـا قلـت قلتـه ومـا لم تقلـه لم أقـل مـا يقاربـه

ومهـما تـرد منـي فـإني أريـده ومـا لم تـرد منـي فـإني مجانبـه

[....][2] بي عـــلى الرضـــا مدى الدهر حتى يرجع الـدر حالبـه

والذي أوردته من أبيات فمنقول عن إثبات، ومجموع من تصنيفات أشتات؛ ومـا كـان مقولا عليهم ومنحولا إليهم، فأنا برىء من عهدته.

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

obeikandl.com